القسم الأول - شذرات من وحي ذكرى ١٣ نيسان

p. 17-34

FULL TEXT

تراجع مشروع الحركة الوطنية وتعميم الوعي الطائفي المفارِق

1 عندما اندلعت الحرب الأهلية في لبنان يوم ١٣ نيسان عام ١٩٧٥، كان قد مرّ على وجودي في سيدني أربع سنوات. وكنت لا أزال أعمل جاهداً للدخول إلى الجامعة بعدما تأخرت في تحقيق هذه المهمة بسبب الهجرة إلى بلد لم أكن على معرفة بلغته وبسبب انضمامي باكراً إلى سوق العمل، في المصانع في أغلب الأوقات، منذ وصولي إلى المدينة. اندلعت الحرب وقد تحولت من شاب ناقدٍ للأوضاع السائدة في لبنان بالاستناد إلى كتابات أدبية يجوز وصفها آنذاك بالنوع المتمرد، أي في العام الذي هاجرت فيه من لبنان، إلى إنسان قومي عربي وماركسي متحمس لمشروع الإصلاح والتغيير في لبنان ولحقّ المقاومة الفلسطينية في النضال انطلاقاً من لبنان لتحرير فلسطين. في المقابل، كان والدي من أنصار الكتائب التاريخيين، ولحسن الحظ أن أبي قرر أن يهاجر من لبنان عام ١٩٦٩، أي قبل ثلاثة أعوام من التحاق العائلة به وقبل ست سنوات على اندلاع الحرب الأهلية في لبنان. ففي مقابل الحرب الدائرة في لبنان، كانت تجري في عائلتنا حرب أهلية ولكنها منضبطة بالقيم والعلاقات العائلية التي لم تنجح دائماً بلجمي من الخروج على بعضها في العديد من المناسبات التي شهدت نقاشات حادة للغاية. أما والدتي، ليندا، فكانت تقف إلى جانبي في أغلب الأحيان بداعي انحيازها الفطري إلى جانب الفقراء وانجذابها للدفاع عن الضعفاء والمقهورين. والغريب في الأمر، أن أبي ميشال وُلِد لعائلة فقيرة وظلّ من الطبقة العاملة حتى تقاعده من العمل المدفوع، لا سيما بعدما هاجر إلى أستراليا، إذ عمل معظم الوقت عاملاً في مصنع للبرادات والغسالات، ونادراً ما كان يمارس مهنته الأصلية وهي دهن المساكن. وفي أستراليا، ظل أبو بيار (اسم أخي الأكبر بيار تيمناً بمؤسس حزب الكتائب، بيار الجميل) ينتخب حزب الأحرار "اليميني" (وهو الحزب الرئيسي في أستراليا إلى جانب منافسه حزب العمال) لسنوات طوال قبل أن يقتنع بأفضلية حزب العمال "اليساري" في بعض الأوقات، وذلك مع بداية العقد الأول من القرن الحالي، دون أن يتخلى ولا للحظة عن ولائه لحزب الكتائب. الكيان اللبناني وحماية الوجود المسيحي في لبنان وضمانته من "خطر" الأكثرية المسلمة والمحيط العربي وكرهه للزعامة العائلية والنزاعات العشائرية في مكان ولادته، زغرتا (ومن هنا كان انضمامه لحزب الكتائب منذ أربعينيات القرن العشرين)، هذه القناعات الثابتة كانت وراء "غرام" والدي بحزب الكتائب وبالأخص ولعه ببشير الجميل. وكنت أتساءل دائماً عن سبب غلبة هذه الاعتبا
تفكيره السياسي وخياراته السياسية. ولم أجد الجواب الشافي لهذا التساؤل لـ
"الوعي الزائف" التي كان الحزب الشيوعي يستسهل استخدامها تفسيراً لهذه
أمثاله من المسيحيين خلال الحرب الأهلية في لبنان، ومررت بفترة طويلة اسـ
إلى مقولة "الاستقلال النسبي" للبنى الإيديولوجية عن القاعدة الاقتصادية بـ
مقولة أنطونيو غرامشي في الهيمنة الطبقية التي جعلت الطائفية "خط اليمـ
شرارة عشية اندلاع الحرب الأهلية في لبنان. لكن هذا التفسير ورغم تقدمه الـ
طويلاً في تفسير المفارقة المتمثلة بحالة والدي والعديد من أمثاله، كما سبق
جانباً ونعود إلى ما أعتبره من النتائج غير المخطط لها لخوض غمار "الحرب الـ
الدائرة على الأرض في لبنان: لقد قمت خلال هذه الحرب "الحميمية" بتصفية
بدون سابق تصميم؛ وعلى هذا الأساس تكونت يساريتي، العلمانية بالطبع، ـ
انضموا مثلي إلى الأحزاب اليسارية ولكن دون الاضطرار لـ"تصفية" الحساب
كانت في الحرب الأهلية في موقع المتعايش، إن لم نقل المتحالف، مع قوى
قوى التغيير والإصلاح في لبنان، ثم تراجعها إلى حد الغياب التام تقريباً، تعمد

لدى والدي الكتائبي، وأصبحت حالة أغلبية أبناء جميع الطوائف في لبنان، أكانت طوائف "مهيمنة" أم "مغبونة". وبقيت أنا وأمثالي مصدومين إلى حد كبير نبحث عن سبب تعميم هذه الحالة وكيفية الإجابة عنها إلى أن جاءت انتفاضة ١٧ تشرين الأول عام ٢٠١٩ وفاجأت الجميع.

خوض "الحرب الأهلية" في سيدني

2 اندلعت الحرب الأهلية في لبنان وقد مضى على هجرتنا كعائلة إلى سيدني ما يناهز أربع سنوات. وفي الوقت الذي كانت فيه الوالدة مهمومة بتبعات ما يحدث في لبنان على عائلات إخوتها وأختها وعلى والدتها العجوزة، كنت أنا ووالدي مشغولين بتتبع أخبار ما يجري في لبنان، وكل واحد منا مدفوع باعتبارات سياسية تقف على طرفي نقيض: أنا المنتمي حديثاً إلى منظمة العمل الشيوعي بعد مغادرتي للبنان وشاركت في تأسيس فرع حزبي لها منذ عدة أشهر في مدينة سيدني، وهو الكتائبي منذ سنوات شبابه في أربعينيات القرن الماضي، وإنما غير الملتزم تنظيمياً منذ إن وطأت قدماه بلاد الكنغر عام ١٩٦٩. كنت أنتظر أنا والرفاق وصول مجلة "الحرية" (ثم مجلة "بيروت المساء") بالبريد لنتزود بآخر الأخبار والمواقف السياسية، ثم نستخدم هذه المواد لكسب المزيد من الأنصار والرفاق وللسجال مع الخصوم والحلفاء. خلال سنوات الحرب ولغاية بداية العقد الأخير من القرن المنصرم، كنت "أناضل" على عدة "جبهات": جبهة العائلة فلم يمض يوم، على ما أذكر، إلا وكنت أتشاجر مع والدي حول "مشروعية" ما نقوم به في لبنان، أكانت المنظمة أم الحلفاء. وكم كنت دائم الاستعداد لتبرير كل شيء أو أي تناقض كنا نقع فيه (خصوصاً لجهة الموقف من النظام السوري ودوره في الحرب). في المحصلة، كنت على قناعة راسخة أنني أمتلك الحقيقة كاملة ومن لا يتفق معي فهو مضلَّل أو جاهل أو الاثنين معاً. وما لم أنتبه إليه آنذاك، كان تأثير النقاش الذي يجري في المنزل على أخي الذي يصغرني بتسع سنوات، فقد فاجأني ذات يوم بتبنيه الفكر الشيوعي ودفاعه عن المبادئ الاشتراكية. لكن هذا "الانتصار" لم يدم طويلاً، لا سيما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وانحسار جاذبية الأحزاب الشيوعية عموماً.

3 أما "الجبهة" الثانية، فكانت جبهة الأصحاب والأقارب. والملفت هنا كان تعاطي هؤلاء الثابت معي بصفتي "مع الإسلام والفلسطينيين" ضد لبنان والمسيحيين. ولم أفلح أبداً في تغيير أو حتى تعديل تصورهم هذا رغم الحجج والمنطق الذي كنت أجيد استخدامه في "الحوارات" العديدة معهم. وأنا على يقين الآن بأن علاقات القربى والجيرة حيناً، واحترامهم لي بصفتي طالب جامعي و"متعلم" حيناً آخر، كانت من العوامل الأساسية التي تلجمهم عن التعاطي معي بـ"قلة احترام" وربما بالعنف والتوبيخ اللفظي (في يوم من أيام تلك المرحلة، كنت برفقة الأهل في وداع أحد الأصحاب من بلدتي زغرتا عازم على زيارة أهله في لبنان، وإذ بأحد الضيوف ينتصب واقفاً في وسط غرفة الاستقبال ويتوجه إلي بوقاحة غير مألوفة وبلهجة زغرتاوية لم تعد شائعة في زغرتا أساساً، وبصوت عالٍ يقول: من الآن فصاعداً، علينا أن نطبع الأرزة على جبين كل لبنا

كانت جبهة ثالثة وأخيرة تتعلق بالعمل الدؤوب لكسب الأنصار والأعضاء الحز قراء المجلة الحزبية إلى قيام السهرات والندوات واستغلالها لنشر أفكارنا الس زيادة عدد الحزبيين إلى ما يقارب السبعين وعدد الأنصار تجاوز المئتين)، مرو المراحل الحرجة والمأزومة التي كانت المنظمة والحركة الوطنية تمران بها، لد الضريبة للمنظمة. كل ذلك كان يحدث وأنا أتابع دروسي في الجامعة وأمارس لكسب ما يكفي من المال لمساندة الأهل بداية، ثم لتلبية الحاجات المعيشية عشية رأس السنة عام ١٩٨٢.

معارك محتدمة حيناً وخافتة حيناً آخر على جبهات ثلاث دامت عشرين سنة. و إنجازه من بين الأهداف التي كنا نناضل من أجلها، وهي قليلة جداً في الأساس والانغماس في الرهانات التي كانت تمتلك علينا مخيلتنا وحتى أجسادنا. أما ا تسعينيات القرن المنصرم، فإن ما يشغل مخيلتي ويستولي على جسدي أيض

رهانات من سلالة الرهانات السابقة، لكنها مختلفة عنها أيضاً في العديد من الجوانب. وما يحدث في لبنان منذ ١٧ تشرين الأول من عام ٢٠١٩ لا يندرج إلا ضمن هذا المخاض الجميل الذي منح لوجودي المعنى الذي يستحق.

كيف أصبحت يسارياً؟

6 أجد أن من الأمور الأكثر تعقيداً في الكتابة عن الذات هي القدرة على رسم الحدود الفاصلة بين القرارات التي نعزوها إلى الظروف المحيطة بنا وتلك التي نعيدها إلى إرادتنا الذاتية. ولكن عندما نستبطن الظروف المحيطة عبر مسار التنشئة الطويل، وما يستتبع ذلك من إكراهات تتحول مع الزمن إلى رغبات وميول ذاتية، وتوليد استعدادات نفسية لدينا، وترسيم أفق الطموح الشخصي، وخلق حتى تهويماتنا الشخصية إن لم نقل أصنامنا الخاصة؛ يمسي عندئذ الحديث عن ثنائية الظروف الموضوعية والذات الفاعلة شبه مستحيل.

7 تخطر هذه الأفكار على بالي كلما وددت الكتابة عن جوانب من سيرتي الذاتية، خصوصاً عندما راودتني فكرة الكشف عن العوامل التي جعلت مني إنساناً يسارياً يدافع عن الشيوعية ويلتزم في تنظيم شيوعي لمدة ١٨ سنة، ثم يتخذ القرار في أن يبقى يسارياً دون أن يلتزم بتنظيم معين لأسباب عديدة ليس المجال مفتوحاً لاستعراضها الآن.

8 كيف أصبحت مقتنعاً بالماركسية واتخذت القرار بالانضمام إلى منظمة العمل الشيوعي عام ١٩٧٥ قبيل اندلاع الحرب الأهلية في لبنان؟ الملفت في هذا الصدد هو أنني توصلت إلى هذا القرار وأنا مهاجر في أستراليا على بعد ١٤١٧٦ كلم عن بيروت وبعد مرور أربع سنوات على وجودي في مدينة سيدني. وكانت هجرة عائلتي إلى سيدني على ثلاث مراحل: في المرحلة الأولى هاجر والدي عام ١٩٦٩ ملتحقاً بعمي وعمتي اللذين سبقاه إليها في منتصف الستينيات. وفي الدفعة الثانية، التحق أخي الأكبر بوالدي بعد مرور ما يقارب السنة على هجرته، وفي ٢٣ آب/أغسطس عام ١٩٧١ وصلت مع والدتي وبقية إخوتي إلى مطار سيدني. عندما وطأت قدماي مطار سيدني، لم أكن مُسَيَّساً لدرجة الاقتناع بفكرة الانضمام إلى حزب، أي حزب كان. سبق لي قبل مجيئي إلى بلاد الكنغر أن قرأت مؤلفات جبران وميخائيل نعيمة، وأذكر كيف استيقظ في داخلي بعد قراءتي "الأجنحة المتكسرة" و"الأرواح المتمردة" شعور عارم بالغضب ضد ظلم الإنسان للإنسان، لا سيما ظلم الكنيسة للفلاحين. وأول من شجعني على القراءة كان الأستاذ فهد، أستاذ اللغة العربية في مدرسة الآباء البيض في القبة، في طرابلس، الذي نصحني بضرورة قراءة الروايات لتحسين قدرتي على الكتابة. بعد ذلك بفترة وجيزة، دفع إليّ أستاذي بكتاب "المحاضرات العشر" لـ"الزعيم" أنطون سعادة، لأكتشف لاحقاً أنه كان عضواً في الحزب القومي السوري، وأنه ربما كان ينوي تنسيبي تدريجياً إلى حزب "الزعيم". على أية حال، ومع قراءة هذا الكتاب الذي تزامن مع غياب أستاذ فهد عن الوسط الذي كنت فيه لأسباب لم أعد أذكرها، التهب شعوري ب
العام الذي كنا نعيش فيه (كان ذلك حوالي عام ١٩٧٠)؛ وذلك على ما أذكر نتي
أسباب ضعفنا ورسمه الطريق إلى "نهوضنا" بلغة إنشائية تجعل من كان مثا
عارمة في التمرد على الوضع القائم.

تلك كانت حدود تجربتي "السياسية" عندما وصلت إلى سيدني، فما الذي حد
أن ألتزم بالفكر الماركسي وأنضم إلى تنظيم سياسي في الوطن الأم، اسمه م

من الأسباب المباشرة لذلك، صديقٌ تعرفت عليه عندما كان يزور لبنان عام ٧٠
سيدني لأتصل به عندما يحين وقت هجرتي إليها. وهذا ما حصل بعد عدة أيا
فقد اتصلت به بدافع من كسر جدار الشعور بالغربة الذي سرعان ما انتصب و
وجودي على الأراضي الأسترالية؛ فلا قدرة لدي على استخدام اللغة الإنكليزية
وانقطاعي التام عن شبكة العلاقات والأصدقاء والأحلام، ولو المحدودة، التي
أضف إلى ذلك التحاقي بصفوف "البروليتاريا" بعد عدة أيام من وصولي وم
قاسية كنت بالطبع أختبرها لأول مرة في حياتي. كل ذلك كان يحدث بالتوازي

في لبنان في تحصيل العلم، فيما لا أزال أصارع من أجل امتلاك زمام اللغة بمستوى يخولني الالتحاق بالدراسة من جديد... بعد عدة لقاءات مع هذا الصديق الأول لي في سيدني، إذا به يفاجئني عندما طلب مني أن أبدأ بالتعرف على الكتابات الماركسية إن أردت التعرف على الفكر السياسي الكفيل برسم الطريق الفعلي للتغيير في لبنان والعالم العربي. وعندما استحضرت "فكر" أنطون سعادة، أخذته الدهشة وهو العربي القومي والماركسي معاً، وأجابني ساخراً: "شو بدك من كتابات سعادة، كلها إنشاء وكلام حماسي. الماركسية مع القومية العربية هي الجواب". وهكذا بدأت رحلتي (المستمرة للآن بشكل أكثر نقدي) للتعرف على الماركسية والكتابات حولها. أما إشباع رغبتي في تزويج الفكر الماركسي بالنضال الوطني وبالقومية العربية، فقد جاء لاحقاً؛ أي بعد حرب العرب وإسرائيل عام ١٩٧٣، ونمو اهتمامي بنضال الشعب الفلسطيني لتحرير فلسطين "المحتلة" مع صعود نجم "الكفاح المسلح" و"العمل الفدائي". وفي سياق نشاطي الداعم لنضال الشعب الفلسطيني عبر الالتحاق بـ"جمعية أصدقاء فلسطين" الناشطة في سيدني وقتذاك، تعرفت على مجلة "الحرية" التي كانت تصل بالبريد إلى شخصين في سيدني كانا منتسبين إلى منظمة العمل الشيوعي قبل مغادرتهما للبنان.

11 فمن قراءة جبران خليل جبران التي شحذت شعوري بالتمرد كمراهق ورفعته إلى مستوى المثل الحالمة بقالب أدبي رومانسي، ثم تماسّي العَرَضي مع بعض كتابات أنطون سعادة بتشجيع من أستاذ اللغة العربية فهد، وصولاً إلى صديقي جون الماركسي والقومي العربي وصاحب "السطوة" الفكرية كونه طالب دكتوراه في الفلسفة في إحدى جامعات سيدني، وحثه الدائم لي للتعرف على الكتابات الماركسية (ودراسة الفلسفة لاحقاً)، ثم ترافق كل ذلك باحتدام الصراع المسلح بين "إسرائيل" والمنظمات الفلسطينية وما شهده الكفاح المسلح والعمل الفدائي من تطورات، توالت بعض هذه العوامل وتزامن بعضها الآخر لتشكّل الدوافع المباشرة لانجذابي نحو الماركسية وتصميمي على إنشاء فرع حزبي لها في سيدني.

12 أما العوامل غير المباشرة التي جعلتني في نهاية المطاف أنتسب إلى منظمة العمل، فهي عديدة وتستحق الوقوف عندها على ما أعتقد. وبنظري أن أهم ما في هذه العوامل هو الانتباه إلى حقيقة تحولها إلى استعدادات تلقائية وميول ذاتية كانت وراء القرارات التي اتخذتها في حياتي في المطاف الأخير. وهذا ما سبق وذكرته باختصار في بداية هذا النص. فما هي هذه العوامل التي اعتقدت أنها كانت حاسمة في سلسلة الخيارات التي اتخذتها في حياتي؟

13 لتكن البداية من الوضع العائلي. ولدت في عائلة من أب وأم وخمسة أولاد. كان والدي ميشال دهّاناً وهي مهنة انتقلت إليه من والده. لكن أبي لم يستطع طوال عمله في هذا المجال، وكان يعمل فيه على فترات متقطعة ومتباعدة، أن يؤسس شركة وإن متواضعة يقوم من خلالها بالتزام تعهدات لحسابه الشخصي يمكن أن تحسن من مستوى معيشتنا. ظل هذا الأمر مصدر قلق لوالدتي ليندا طوال حياتها، وسب كلما واجهت العائلة ضائقة مالية ما. وبقي الوالد يمارس مهنة الدهان لمدة سيدني قبل أن ينتقل إلى العمل في مصنع للبرادات والأفران والغسالات إل المصنع واتخاذه قرار التقاعد من بعد ذلك. باختصار، عائلة مستورة خلال وجو أفضل نسبياً بعد هجرتها إلى أستراليا وذلك ليس بسبب "الترقي الطبقي" الذ بسبب ارتفاع أجور العمال في أستراليا قياساً على ما هي عليه في لبنان وبس توفرها "دولة الرعاية الاجتماعية" في أستراليا.

حيال هذا الوضع، كان هناك نوعان من ردود الفعل لدى أخي الأكبر، بيار، ولد تمرد بطريقته على مجمل الوضع العائلي وسلك طريقاً مستقلة عن العائلة فكان خياري التعاون مع أهلي لتخطي الصعوبات التي كنا نواجهها من جهة (كان شراء منزل للعائلة)، والعمل لاستكمال دراستي الجامعية من جهة ثانية (الدكتوراه من جامعة ماكواري في سيدني وباشرت مهنة التعليم الجامعي). و

متعاكسين علماً أن كلا المسارين كانا في جانب أساسي منهما جواباً خاصاً على الوضع العائلي نفسه. لكن يبدو أن ليس بوسعنا تفسير ما حصل دون العودة إلى ديناميكية العلاقات العائلية.

15 والأهم فيما يخص هذا، كان اندفاعي ألّا أخيّب ظن والديّ كما فعل أخي الأكبر عندما تركهما يتخبطان في مواجهة صعوبات الحياة في المهجر. هو الشارد عن العائلة الذي قرر مواجهة الحياة بمفرده رداً على الصعوبات التي وجد نفسه في وسطها، لا سيما المستجد منها في "المهجر"، وأنا "المِرْضي" (كانت الوالدة لا تكف عن وصفي بـ"الولد المِرْضي") المصرّ على سلوك طريق "النجاح" إنما بعد حلحلة المشاكل التي تواجه العائلة. ويبدو أن الفوز بـ"رضى" الوالدين كان خياري المفضّل. وأنا على يقين الآن بأن ذلك يعود في جزء منه إلى سعيي لأن أثبت لأهلي أنني كنت "عند حسن ظنهم" بي. أبي، الإنسان العامل البسيط وغير القادر على تحقيق ولو جزء من طموحات أمي بالترقي الاجتماعي، وأمي المحبطة والمعذبة بسبب "القِلّة" التي عانت منها تاريخياً والمصدومة بوتيرة متصاعدة من المسار الذي اختاره ولدها البكر؛ دفعتني هذه الحالة إلى الوقوف إلى جانب أهلي والتصميم على تخطي الصعاب التي كنا نواجهها معاً (كان سقف الطموح العائلي آنذاك سداد الديون التي تراكمت بسبب تكاليف السفر إلى أستراليا وشراء "عفش" البيت بالتقسيط، فمع قدومنا إلى سيدني تمكنت العائلة لأول مرة في حياتها من امتلاك غسالة وبراد (ثلاجة) وتلفاز وأن يكون للأهل غرفة نوم مستقلة عن الأولاد وأن يتوزع الأولاد على غرفتي نوم). ولكن هل من دوافع أخرى جعلتني أنحاز إلى هذا الخيار؟

16 كان لدي صديق أيام الدراسة في لبنان اسمه فلاديمير (لاحقاً علمت أن أباه، وهو من زغرتا وكان هاجر إلى أحد بلدان أمريكا اللاتينية، قد منحه هذا الاسم تيمناً باسم قائد الثورة البلشفية عام ١٩١٧، فلاديمير إليتش لينين). بعد هجرتي إلى سيدني، انقطعت علاقتي معه كما مع العديد من أصحاب المقاعد الدراسية. ثم التقيته بعد عودتي إلى لبنان عام ٢٠٠٤ خلال زيارتي لعمّان للمشاركة بنشاط يتعلق بعملي آنذاك في الجامعة اللبنانية الأميركية في بيروت. وعند اللقاء الأول بادرني بالقول إنه لم ولن ينسى أبداً كيف كنت أهبّ لنجدته كلما كان يتعرض للمضايقة من التلامذة في ملعب المدرسة وهم يعلقون على بدانته (الآن نسمي هذا التصرف "التنمّر"). لفتتْني هذا الملاحظة، وجعلتني أتساءل لماذا كنت أقوم تلقائياً بالدفاع عن فلاديمير لدرجة الاشتباك الجسدي مع الآخرين فيما لم أكن أتعرض أنا لأي مضايقات؟ ودفعني هذا السؤال بدوره لأكتشف أن "أمي" كانت هي المسؤولة بصورة غير مباشرة عن تشكيل هذا الميل لديّ لنجدة "الضحية" ومواجهة "المعتدي والجلاد". فمنذ نعومة أظافري، وأنا أشاهد ما كانت والدتي تعانيه على الدوام من مشقات مادية وحياتية بدون وجه حق، وأنا الولد الذي "يحب" والدته وليس في يده حيلة للتخفيف من تلك المعاناة. هذا التعرض المتكرر منذ طفولتي لمشاهدة "أمي" تواجه ندرة الموارد المعيشية وقسوة الحياة قد يكون أحد الأسباب التي جعلتني أتعاطف تلقائياً مع الضحية، أية ضحية، وأهبّ أيضاً لنجدتها. أذكر كذلك مشهداً آخر مر مرحلة المراهقة وكان يتكرر بين الحين والآخر؛ فوالدتي لم تكن تتوانى عن مد "الشحادة" باب بيتنا في تلك الأيام (على ما أذكر، كان أغلب الشحادين في ذل النساء) بداعي طلب المساعدة. بالطبع لم يكن لدى الوالدة مالاً لتقديمه لها. المتسولة للجلوس أمام مدخل البيت وتجلب لها الماء وتقدم لها الطعام مما المعوزين قط رغم شح الموارد.

أنا واثق أن تكرار هذا التصرف أمام عيني، وأنا في طور النشأة والانفتاح التدر في جعلي أتعاطف مع الضحية والفقراء وأن أنتصر تلقائياً لمساعدتهم ولو با الجسدي" الذي لم أكن أملك سواه أيام تعرض صديقي فلاديمير للتنمّر على

عرجت على هذه التجارب من حياتي الخاصة لأقول إن انجذابي إلى الماركسيا في بلاد الكنغر، إنما يعود في الأساس إلى تلك التجارب التي كونت لديّ مع والاستعدادات لكي أنتصر تلقائياً "للضعيف" و"المظلوم"، ولأجد فيما بعد فـ

الاندفاعة ويعطيها الوسيلة التي كنا نعتقد بثبات أنها ستكون كفيلة بتخطي الظروف والشروط التي تنتج الظلم والوجع لدى الإنسان.

19 ويبقى التساؤل الأخير المتعلق بتفسير الانضمام إلى فكر وتنظيم سياسي موجود أساساً في لبنان وهدفه في نهاية المطاف هو تغيير المجتمع والسلطة في ذلك البلد، بينما أنا موجود في أستراليا وأسعى إلى بناء مستقبلي هنا وفي هذا المجتمع الجديد؟ والجواب على هذا التساؤل يجد عناصره في تجربة الهجرة التي مررت بها واختبرتها لمدة طويلة. فعندما حسمت العائلة قرارها بالسفر إلى أستراليا والالتحاق بوالدي وأخي الأكبر، كنا نعتقد جميعاً أن غيابنا عن الوطن سيكون لبضعة سنوات قد تصل إلى عشر سنوات كحد أقصى، ومن بعدها نعود إلى لبنان بعدما نكون قد حققنا أهدافنا في تحسين الوضع المادي والتحصيل العلمي المرتجى. بالطبع كان ذلك الكلام وهماً لدى جميع أعضاء العائلة للتخفيف من وطأة ألم الاقتلاع من البيئة التي ولدنا ونشأنا في وسطها. وما ساعد في استمرار هذا الوهم "الجميل" بالنسبة لي كانت الظروف التي واجهتها خلال السنوات الأولى من وجودي في أستراليا. وأول صعوبة واجهتها كان اكتساب اللغة. وبعد التغلب على هذا العائق، برز تحد الاختلاف في القيم والعادات الاجتماعية للمجتمع الأسترالي الجديد وهو وإن تقلص مع الزمن إلا أنه لم يَزُلْ بالكامل حتى اللحظة. أضف إلى ذلك، عنصرية "المجتمع الأبيض"، ولو كانت مخففة في معظم الأحيان، تجاه "اللبنانيين" وعموم المهاجرين غير الأنغلو-ساكسون. وأخيراً هناك تأثير النشأة في البلد الأم وذكريات الوطن التي فجأة أصبحت أكثر حضوراً في السنوات الأولى لحياتنا في المهجر، ولم تغادرنا بالمطلق رغم ضمور هذا الحضور مع تقادم الزمن. إنني على يقين تام بأن معايشة هذه الظروف المركّبة والمتداخلة جعلتني أغض النظر عن مهمة الانخراط الكامل في الحياة الخاصة والعامة في أستراليا، وأن ألتحق بهموم السياسة في لبنان على أمل العودة المرتقبة إلى حضن وطننا الأم لبنان. وبدا لي لسنوات عديدة من وجودي في أستراليا أنني عندما هاجرت من لبنان قد هاجر معي لبنان الذي عشت فيه سبعة عشر عاماً.